من داخل السجن ٩

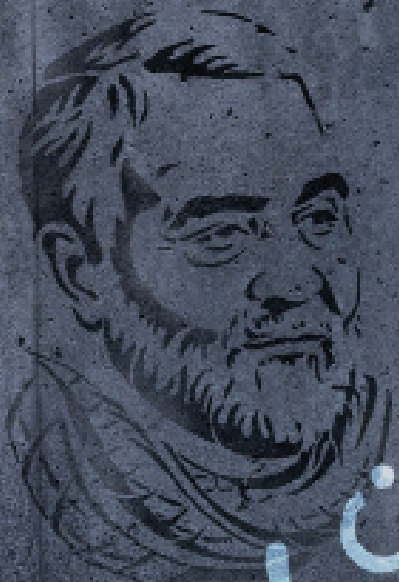

ماضون على دربك

قصص من أسرى البحرين بعد استقبال قبر شهادة الشهيد قاسم سليماني

دار الوفاء للثقافة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: ماضون على دربك - قصص أسرى البحرين بعد استشهاد الحاج قاسم سليماني

إعداد وتنسيق ونشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢م - جمادى الثانية ١٤٤٣هـ

البريد الالكتروني: Mediaalwafa@gmail.com

دار الوفاء للثقافة والإعلام - البحرين

الموقع الرسمي

daralwaffa

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أفضل الصلاة والسلام على رسول الله محمد (ص) وعلى آله بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إن من الأمور التي تؤدي إلى تطوير وعي الأمم والشعوب هي علاقتهم بقاداتهم ومدى الانقياد لأوامرهم، الشهيد القائد قاسم سليماني يعتبر من قادة محور المقاومة حيث كان حاملاً للواء الإسلام وحامياً عن الولاية، فمن الجدير معرفة أحاسيس ومشاعر الناس بعد استشهاده.

عَمِل دار الوفاء للثقافة والإعلام على تجميع قصص من الأسرى السياسيين في سجون البحرين حول ردود أفعالهم بعد سماعهم خبر استشهاد الحاج القائد قاسم سليماني، حيث يبيّن لنا المشاعر الجيّاشة للأسرى الأبطال اتجاه القائد قاسم سليماني.

كتاب ماضون على دربك هو الكتاب التاسع من سلسلة من داخل السجن.

في النهاية نسأل الله عزوجل أن ننال شفاعة لواء الإسلام العظيم الحاج قاسم سليماني، والفرج القريب للأسرى الأحرار من سجون الظالمين.

والحمد الله رب العالمين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

في تلك الليلة لم يغف لي جفن، لقد انتابني الأرق، فلم أستطع النوم من دون معرفة السبب، وكما هي العادة يتم وضع جهاز التلفاز على قناة فضائية معينة لمعرفة الوقت، نهضت من الفراش ونظرت إلى جهاز التلفاز المثبت على قناة «العربية» وقعت عيناي على شريط الأخبار العاجلة الذي تمر فيه الأخبار، وتتغير بسرعة خلال ثوانٍ معدودة، كانت دهشتي كبيرة، ولم أستطع تصديق ذلك النبأ إلى أن أخذت بتغيير القناة إلى قناة «بي بي سي» البريطانية التي لم تبث في بادئ الأمر أي من ذلك.

ثم بعد لحظة قصيرة جدًا تم عرض الخبر في النشرة الإخبارية مع اختلافات بسيطة..

ارتعش جسمي !

وتجمدت قدماي !

لم أعرف ما ينبغي عليّ القيام به، حتى استيقظ الإخوة لصلاة الفجر، وأكدوا الخبر المفجع ..

انتشر هذا الخبر بين الأخوة كالهشيم، إذ كنا نزود بقية الزنزانات بالأخبار الدولية والمحلية والرياضية عبر فتحة صغيرة في حمام الزنزانة..

فساد جو من الحزن والكآبة على الجميع، لدرجة أن الصمت كان سيد الموقف إلى حين وقت صلاة الفجر، حيث تأكد خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني والحاج مهدي المهندس، وقد فوجئ أحد الأخوة عند سماع الخبر، وانفجر باكيًا، واغرورقت عيناه بالدموع، وقام أحد الأخوة بقراءة آيات من القرآن الكريم، وشاع الحزن على كافة السجناء، حتى أنهم لم يمارسوا أنشطتهم اليومية كالجري ولعب الكرة، بل قاموا بإعداد برنامج العزاء على أرواح الشهداء.

في سجن جو، وتحديدًا في مبنى (١٦) في عيد رأس السنة، وكما جرت العادة يقوم المعتقلين في المبنى بإحياء ذكرى استشهاد الشهيد النمر، وذلك بإطلاق التكبيرات والهتافات وغيرها، وفي العادة يتم إدخال مجموعة من قوات الشرطة «للعنبر» لمعرفة مصدر الصوت، وفي ذلك اليوم لم يفتح باب «العنبر» ولم يدخل أي من أفراد الشرطة، حيث إنهم كانوا يعتقدون بأننا على علم بحادثة اغتيال الشهيد قاسم سليماني، على الرغم من أننا لا نستطيع معرفة الأخبار في وقتها، وإنما بعد مدة، وذلك بسبب قيامهم المتعمد بإغلاق أجهزة التلفاز ومنع

الاتصالات والزيارات في حالة حدوث أي ظرف على المستوى المحلي أو الإقليمي، ففي ليلة استشهاد الحاج قاسم تم إيقاف بث القنوات الأخبارية إلا أننا بعد ليلتين من حادثة الاغتيال استطعنا معرفة ما حصل من خلال إحدى القنوات الفضائية التي تعرض موجزًا أخباريًا قصيرًا مرة واحدة في اليوم.

عّم الهدوء والصمت في المبنى بعد تلقي هذه الأخبار الموجعة، وظهرت سيماء الحزن على وجوه المعتقلين، حتى أن أفراد الشرطة كانوا خائفين وحذرين من ردة فعل المعتقلين، وبعض الشرطة قام بالحديث مع بعض المعتقلين وإخبارهم بأن ما يحصل هو حدث إقليمي، ولا ينبغي أن يؤثر على الوضع في البحرين، وأذكر حينها أن أحد أفراد الشرطة -وكان يمني الجنسية- قد أحضر جواز سفره معه، وتعمّد إظهاره للإخوة المعتقلين، وهو يقول: بأنه يحمله خوفًا من أية ردة فعل قد تحصل في المنطقة، وأنه على استعدادٍ للعودة إلى بلده في أية لحظة!

كان من المؤسف عدم توفر بعض الأخوة على المعرفة الكافية بالشهيد قاسم سليماني، إلا أنه بعد استشهاده أصبح قدوةً ورمزًا لديهم، مما جعل العديد منهم يسأل ويحاول معرفة المزيد عنه.

◈

حين تلقينا نبأ استشهاد قادة لواء الإسلام الحاج قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس ومن معهما، كنا معزولين في زنزانتين، وبالتحديد في وقت السحر وقت لقاء العاشقين بمعشوقهم تبارك وتعالى، وقد عمّت في المكان أجواء من الروحانية والسكينة، وإذا بأحد الأخوة يزف إلينا نبأ استشهاد الحاج قاسم ومن معه، ولكن من دون تأكيد، فالأخبار كانت متضاربة، إلى أن تأكد الخبر الصادم في النهاية، هذا الخبر المؤلم الذي كنا نتمنى أن يكون إشاعة أصبح حقيقة مرّة لم يرد القلب تصديقها .. لا زلت أذكر صوت النحيب والبكاء الذي ملأ المكان .. لا زالت أذناي تذكر تلك الأنات المفجوعة على الحاج قاسم وكأنه والد أحد منا ..

كان يومًا استثنائيًا بمعنى الكلمة، فأمضينا تلك الأيام بين البكاء والدعاء، وأخذنا نسلي أنفسنا بأنهم لا يليق بهم إلا مقام الشهادة، كنا نظن بأن هذه الأيام قاسية جدًا، لكن الأقسى منها بكاء السيد القائد عليه، ليتنا متنا قبل رؤية هذه الدموع.

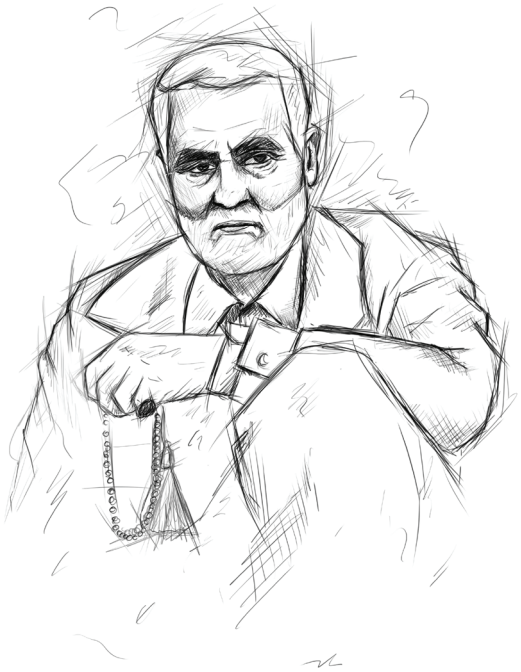

فور ذيوع نبأ الاستشهاد كانت الصدمة أداة الصمت، بعد أن كان الجو ضاجًا بالحديث وارتفاع الصوت والضحك، تساءلنا ما إذا كان علينا تصديق الخبر أم تكذيبه، فهذه القنوات الأخبارية كاذبة وتبث أخبارًا مفبركة، تحاول من خلالها هزيمة المقاومة نفسيًا واصطناع الانتصارات الوهمية..

لابد أن ننتظر حتى الغد فالأيام وحدها كفيلة بإظهار صحة هذا الخبر من عدمه، كنا ننتظر على وجل بين مكذب يدعو لهم بالحفظ وبين مصدق يدعو لهم بالرحمة، إلى أن تم تأكيد الخبر، وطبيعة الوضع أنهم يحاولون عدم إظهار مشاعرهم إلا أن الوضع انفجر دون إرادة!

أتذكر أنها كانت ساعة الفجر، لم نصدق في البداية، ولكن بعد تأكيد الأخوة في الحرس الثوري الإيراني لم يكن أمامنا خيار إلا الإذعان إلى الحقيقة المؤلمة، أتذكر حينها شعرت بحجم الخسارة الكبيرة والفادحة لقامة مثل الحاج قاسم سليماني فسجدت لله، وقلت: «اللهم احفظ لنا الإمام الخامنئي».

بسم الله الرحمن الرحيم، يا زهراء .. اللهم صلِ على محمد

وآل محمد وعجل فرجهم والعن عدوهم ..

اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، هذا ما كانت شفتاي تلهج به بعد بث نبأ استشهاد الحاج قاسم سليماني ورفيق دربه الحاج أبومهدي المهندس، في المرة الأولى التي طُلب مني كتابة شيء عن حالي وقت سماع هذا الخبر المفجع ترددت كثيرًا، ما الذي عساي أن أكتبه أو أن أصفه؟ الأمر لا يمكن أن يوصف، ولكن بعد إلحاح أحد الأخوة وافقت على كتابة هذه الأسطر التي وإن طالت لن تفي حق هؤلاء الشهداء رضوان الله عليهم.

تحديدًا في الثالث من يناير سنة ٢٠٢٠ بعد صلاة الجماعة لفريضة الفجر، عرضت قناة «العربية» خبرًا عاجلًا وكان «عاجل: مقتل قاسم سليماني و...» لم أعر اهتمامًا للخبر، وكنت أقول في نفسي إنه كذب في كذب، ولكن بعد فترة وجيزة ازدادت وتيرة الأخبار التي تتوارد وتبث مؤكدة خبر استشهاده.

إن قلت صدمة سأكون كاذبًا، لأنني لم أصدق الخبر من الأساس، فقد كان قلبي ممزق وعيناي تذرفان الدموع على أمل نفي الخبر، شعرت بأن الإسلام قد فقد جزءًا كبيرًا من حماته ولوءًا من ألويته، وبقيتُ على سجادتي على فراشي أذرف الدموع، فقد كانت الدموع هي عزائي الوحيد.

نحن نؤمن بما قاله المعطاء بالمضمون المؤمن جسد من أرواح متعددة، أحسست بهذا الشعور حال وصول خبر استشهاد لواء الإسلام وأبو مهدي المهندس ورفاقهما بغارة أمريكية وكأني جالس معهم لسنوات.

كنا في زنزانة لا يوجد بها جهاز تلفاز، وتحديدًا في منتصف الليل، كان البعض مشغولًا يصلي صلاة الليل، وإذا بصوت خطوات سريعة في الممر، وكان الصوت يقترب أكثر فأكثر، فجأة! انفتحت الفتحة الموجودة في الباب المخصصة لاستلام الطعام بشكل خفيف بحيث لم نستطع تمييز من يقف وراء الباب، وبحركة خاطفة أُلقيت ورقة مكتوب بداخلها خبر مفاده أن الحاج قاسم سليماني ورفيقه أبو مهدي المهندس استشهد، وكنت أول من قرأ الخبر، فشعرت بالصدمة ولم أستطع أن أتمالك نفسي، فجلست أتلو بعض الآيات القرآنية، كان الخبر منقولًا عن قناة العربية، فلم أدر هل أصدق الخبر أم أكذبه؟ هل هو خدعة من إدارة السجن أم من دول الإستكبار أم ماذا؟

ورغم كل هذه الشكوك كان القلق يساورني بشأن صحة الخبر، وبعد صلاة الفجر عند توزيع وجبة الإفطار تأكد الخبر، وعلمنا بأن الذي ألقى بالورقة هو أحد الإخوة المعزولين والمشدد عليهم أمنيًا، فعندما فتح أفراد الشرطة الباب وقت توزيع وجبة الإفطار خرج هذا الشاب من زنزانته رغمًا عن الشرطة لنشر خبر استشهاد الحاج قاسم على بقية السجناء.

كانت مشاهدة القنوات الأخبارية ممنوعة علينا، فكنا نتلقى

الأخبار إما عن طريق الاتصال بالأهل و إما عن طريق قناة «بي بي سي» في التاسعة، لذلك لم نسمع خبر استشهاد اللواء قاسم سليماني ومن معه إلا في اليوم التالي، و إذا لم تخني الذاكرة فقد كان يوم الجمعة، كنت عادة ما أستلقي على السرير قبال التلفاز، وكان أحد الشباب يغير القنوات إلى أن وصل عند قناة «أم بي سي» وكانت تبث برنامج «أم بي سي في أسبوع» وقع نظري على شريط الأخبار العاجلة الذي ينبئ بمقتل سليماني، طبيعي أن هذا الاسم مهم لأي شخصية مجاهدة، ولا ينبغي أن يمر مرور الكرام، فطلبت من الأخ أن يتوقف عند هذه القناة لأسمع الأخبار المتعلقة بالحاج قاسم، وطبعًا ظننت أن الخبر مجرد إشاعة من الإشاعات التي تخرج على رجال الإسلام، كما خرجت إشاعة مماثلة من قبل عن سماحة السيد حسن نصر الله واليوم الحاج قاسم، فظننت أنه لكثرة ما بث الرعب في نفوسهم بثوا إشاعة استشهاده في وسائل الإعلام، لكن الذي صدمني هو ما تم بثه في برنامج التاسعة على قناة «بي بي سي» وكان من ضمن الأخبار بث للسيد القائد حفظه الله يؤكد فيه خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي المهندس ومن معهما، لكن ليس بغريب أن يختم الله لشخصية كشخصية الحاج قاسم المضحية بالشهادة.

◈

في يوم الجمعة في الثالث من يناير سنة ٢٠٢٠ في زنزانة مكتظة بالسجناء، عند اللحظات الأولى من الصباح، فتح أحدهم نافذة باب الزنزانة وقام بإلقاء ورقة سقطت فوق أحد الإخوة النائمين، انتبه أحد الأخوة للورقة الملقاة، وهرع لالتقاطها وقراءتها بصمت، فيما كانت الأرضية ممتلئة بالأجسام المديدة والأخوة النائمين فوق الأسرة، ارتفع صوت يقول: استشهد الحاج قاسم سليماني!

لم أقم بالتحرك، الكل كان مصدومًا ومذعورًا لدى سماع الخبر، فالبعض شُكك في الخبر، ودُعينا للتريث حتى يتم التأكد، فانتظرنا لحين توزيع وجبات الإفطار، كان في «العنبر» زنزانة واحدة فيها جهاز تلفاز، فقام أحد الشباب بقراءتها بصوت واضح، والجميع ينصت إليه باهتمام بالغ: «غارة أمريكية بطائرة بدون طيار بالقرب من مطار بغداد تستهدف سيارتين لتحولهما لكتلة حديد ملتهبة، وقد تم العثور على يد مقطوعة بها خاتم والمشتبه بأنها تعود لقاسم سليماني».

وخبر آخر: «القيادي البارز في هيئة الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس كان في إحدى السيارتين».

كان الحاج قاسم معروف بتنقلاته عبر إيران والعراق

وسوريا ولبنان وغيرها، ولا يُرى طيفه، لكن كانت مشيئة رب السماوات أن تكون خاتمة الحاج سليماني ن تكون خاتمة الحاج سليماني شهادة مقطع الأوصال كشهداء كربلاء، عمّ الحزن على السجن، وأخذ الأخوة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم على أرواح الشهداء، وقاموا بأداء صلاة الوحشة في أجواء بالغة الأسى غمرت صدور الشباب، وأضرمت في نفس الوقت نار الانتقام من أمريكا.

◈

جاء خبر استشهاده -الحاج قاسم سليماني- كسهم اخترق القلوب، إنه أشبه بخبر استشهاد مالك الأشتر، وبمكانته عند أمير المؤمنين عليه السلام، فهو مالك السيد القائد حفظه الله.. استشهاده ترك حملًا ثقيلًا على السيد القائد، لكن الإمام الخميني ذكر بأن الجمهورية الإسلامية محفوظة من قبل الله عز وجل وتحظى بعنايته ولطفه، وهذا ما شهدناه خلال الأربعين سنة الماضية، فعندما يستشهد أحد من القادة يأتي من هو أشد بأسًا وإصرارًا وعزيمة لنصرة الحق .. ونحن الآن بانتظار حامل اللواء الجديد.

وسلامٌ على قاسم ويوم ولد ويوم عشق حمل راية الحق ويوم استشهد ويوم يُبعثُ حيًا..

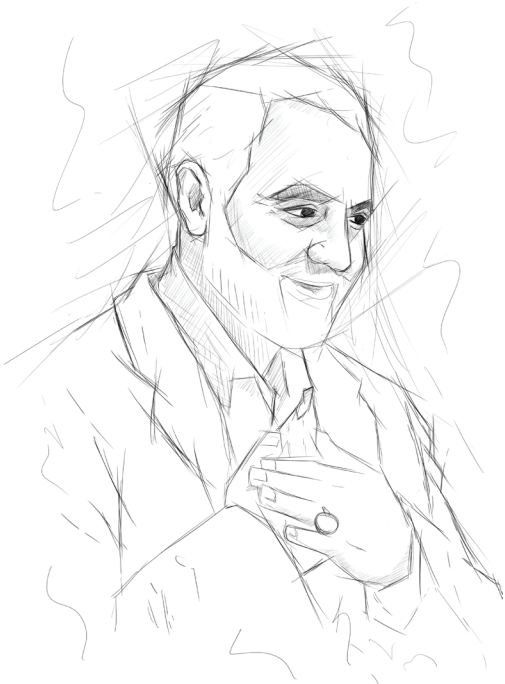

في يوم استشـهاد الحاج قاسم سـليماني كنت في سجن (١٧) فـي العـزل، وبالتحديد فـي زنزانة ٣ مع مجموعة مـن الإخوة، لم تكـن لدينـا وسـيلة لمعرفة ما يجـري خـارج الزنزانـة، ولا يمكننا معرفـة آخـر الأخبار، إذ لا يوجد في الزنزانة جهاز تلفاز، عدا جهاز واحد في العنبر.

كانـت قنـاة «إم بـي سـي ١» تعـرض يـوم الجمعـة والسـبت صباحًا برنامج «إم بي سـي في أسـبوع» وكان أحد الإخوة يقلب فـي القنـوات، وعنـد وصولـه لقنـاة «إم بـي سـي» صـرخ بأعلـى صوته، ووضع يده على رأسه، فاشرأبت الأعناق وحدقته الأعين بفضـول عـارم محاولـة قـراءة ما رآه مـن خلال تفحـص تفاصيل

وجهـه الشـاحبة، فاسـتحثه البعض علـى الكلام، فقـال: مقتل قاسم سليماني في العراق، فوضع الجميع أيديهم على رؤوسهم مـن هـول الخبر، لكن الأخبـار لم تكن مؤكدة، فظـل الهدوء يعم المكان حتى المساء حيث بثت قناة «إم بي سي» نشرة الأخبار في التاسـعة، وشـاهدنا الصـور ومقطـع فيديو للحظـة الانفجار، وبعدمـا انتهـى بـث الخبـر انتفـض الجميـع، فالبعـض اعتلـى صوتـه بالتكبيـر، والبعض الآخـر كان يضرب بـاب الزنزانة بقوة، وكان المبنـى يضـج بهتافـات المـوت لأمريـكا، وبالـروح والـدم نفديك يا شـهيد، واستمرت هذه الهتافات تدوي وتهز الأسماع أسـبوعًا كامـلًا نرفعهـا بعـد صـلاة المغـرب، وفـي المقابـل قاموا بحذف قناة «إم بي سـي» من جهـاز التلفاز بعد بثها لخبر مقتل الحاج قاسم سليماني.

◈

أيهـا العزيز أكتـب لك ما جرى، ويجب أن تعلم قبل كل شـيء أنـي صاحـب انفعالات باردة جـدًا بصورة عامة، كمـا أني متابع سيء للوضع الإقليمي، لكن فور سماعي الخبر صباحًا، تيقّنت بأن ما جرى هو نهاية للوجود الأمريكي في المنطقة، وأن إيران لن تسـمح بوجود قواعد أمريكية في المنطقـة، وقلت لأحد الإخوة: إني أرى ذلك قريبًا، كما أراك الآن أمامي، لكن لا تسألني كيف سيحدث ومتى؟

كان الخبر قاصمًا للظهر وموجعًا بشدة، ليس على مستوى الشعب البحريني، بل على مستوى الأمة الإسلامية جمعاء، نسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الصبر والسلوان على هذا المصاب الجلل، ويثبتنا وإيّاكم على خط الشهيد المجاهد قاسم سليماني.

في ذلك الوقت لم يكن يوجد إلا تلفاز واحد في العنبر، والزنزانة التي كنت فيها لا يوجد بها جهاز تلفاز، كنا نتناول وجبة الإفطار عندما نقل إلينا خبر استشهاد الحاج قاسم والحاج أبو مهدي، لم أصدق الخبر، أما من معي فقد صدقوا الخبر من اللحظة الأولى، فاستفسرت من أحد الإخوة أين؟ وكيف؟ عندها قالوا لي: بغارة أمريكية. فأجزمت بعدم صحة الخبر لكون أمريكا أجبن من أن تفكر في استهداف الحاج

قاسم بشكل مباشر، ولكن عندما تم تأكيد الخبر تمنيت لوأني لم أكن في السجن،حزنت بشدة لدرجة أني لا أستطيع أن أصف هذا الحزن الذي لم يمر على قلبي مثله خلال وجودي في السجن، صحيح أني لا أعرف الحاج قاسم بشكل جيد، لكنه كان بالنسبة لي وللأخوة في السجن بمثابة الأب الروحي، لقد وصلني خبر استشهاده يوم الجمعة، وكنت في هذا اليوم لا أخرج للممارسة الرياضة إلا أنني خرجت لأجري، لأفجّر البركان الثائر في داخلي، لأخرج ذلك الألم الذي يعتصر قلبي، لقد حرّكني الخبر، حركني لدرجة أنني صرت أجري استعدادًا للخروج من السجن.

◈

لا شك بأن كل من عليها فان، وأنها سنة الحياة، وأن أهل السماء لا يبقون، فالمدافعين عن الإسلام والمجاهدين كالشيخ راغب حرب وعماد مغنية والشيخ النمر وغيرهم من القيادات نالوا المقام الذي يستحقونه، وهو الشهادة في سبيل الله، أما الحاج قاسم مع الحاج أبو مهدي المهندس وخيرة من جنود الله، الذين كانوا يتحرقون لنيل الشهادة ولقاء سيد الشهداء عليهم السلام، فقد نالوا العزة والكرامة، وفازوا بوسام حسيني كربلائي، بالطبع كان للحاج قاسم ثقل ودور كبير في الحرب ضد داعش واليهود والأمريكان، لدرجة أن اسمه كان

يرعبهم مما شكل استشهاده خسارة لنا، وللأسف أنني قابع في السجن، ولم أحظَ بشرف لقائه والقتال معه، ولكنني أسأل الله أن يشرفنا جميعًا برؤية السيد الخامنئي دام ظله وأن نكون جندًا من جنوده.

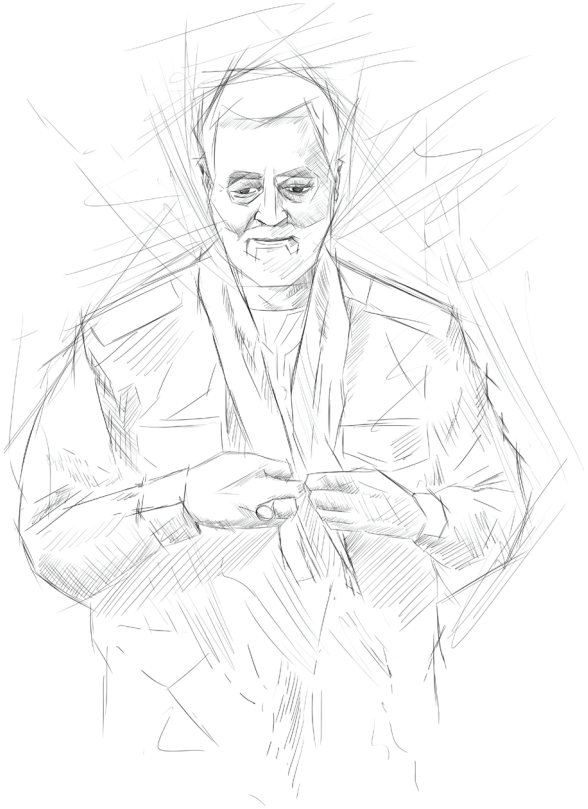

شعور لا يوصف قد مزق روحي، ولشدة تعلقي بالحاج قاسم فقد رأيته في المنام بعد استشهاده في يومين متتاليين، قلت له: قتلوك

فمسح على جسده، وقال: ها أنا أمامك.

لقد فقدت والدي وصديق عمري وأنا في السجن، لكن يشهد الله أن شعور فقد الشهيد قاسم سليماني كان مختلفًا، وأنا لأول مرة أمر بهذه الحالة، لا أعرف كيف أصف لك ما مررت به لدى سماعي خبر استشهاده.

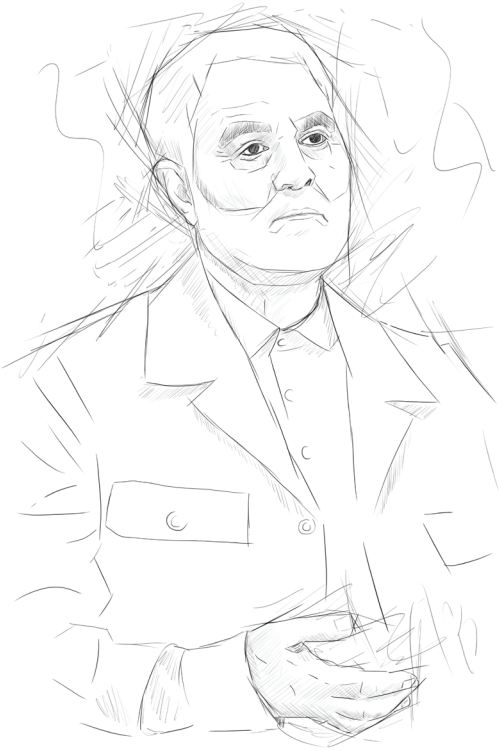

كنـا نتابع كل خبـر وبالأخص كلمـات وأوامر السـيد الخامنئي، وأنا أعتقد أن الموازين سـتكون في صالح الجمهورية الإسلامية والإسلام، وسيكون أعداء الإسلام في خسارة ببركة دم الشهيد.

كان حديـث المبنى في تلك الأيام يدور حول رد الجمهورية وردات الفعـل، وانطباعاتنـا حـول خبـر استشـهاد الحاج قاسـم ومن معه، فقال أحد الأشخاص: «أنا حزنت كثيرًا على فقد لواء الإسـلام الحاج قاسم سليماني، لكنني في نفس الوقت فرحت لنيله أمنيته التي تمناها طوال حياته على يد أشقى الأشقياء».

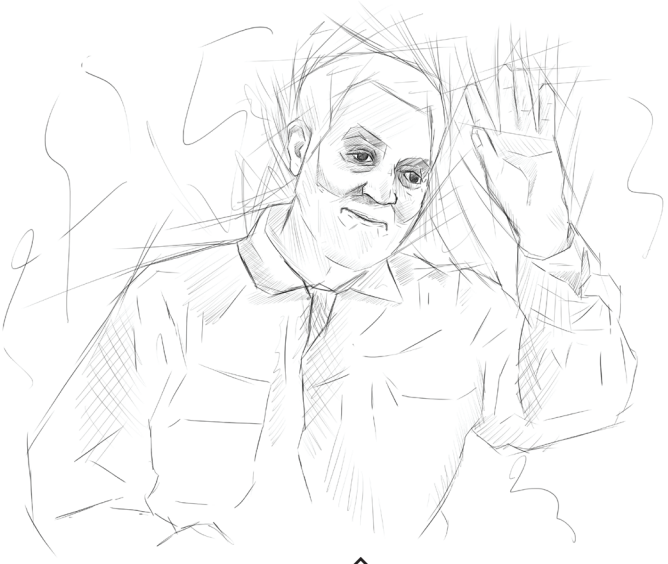

حسبما أذكر وصلنا الخبر ونحن نأكل وجبة الإفطار، فلم يصدق الخبر أحد منا، ظنًا في كونه مجرد إشاعة، فكانت الأجواء طبيعية نوعًا ما، قلت لمن معي من الإخوة: حتى لو فرضنا كون الخبر صحيحًا، فالحاج قاسم كان يتمنى الشهادة منذ أربعين سنة وحصل عليها.

فخرجنا بعدها نتشمس في الساعة السابعة صباحًا، لم نعرف ما الذي يجري، فاتصلت لابن أخي، وأخبرته بأن يفتح برنامج «تويتر» فقال لي: هناك صورة يد وخاتم.

تأكد الخبر بعد تواتر الاتصالات، فحلت بالمكان حالة من

السكون والهدوء، وتغيرت وجوه الجميع وامتقع لون وجهنا بلون أصفر باهت، والكل قال: بأنها بداية النهاية..

شعرنا بأن مالك الأشتر قد استشهد للتو، كان الكل تقريبًا يهجز نفسه للحرب، لكن رؤية السيد القائد وهو يصلي عليه كان يبعث في النفس الطمأنينة والأمل بأن الجمهورية الإسلامية قادرة على الانتقام والأخذ بثأر الحاج قاسم.

تأثر الكثير من السجناء بالخبر، وكان معنا رجل كبير في السن اسمه الحاج «غلوم» معتقل بسبب قضية مخدرات ومشارك في الحرب المفروضة، كان يقول لنا: «لماذا أنتم تحزنون كثيرًا؟ نحن نستبشر بهذا، لا تعتقدوا أن بعد سليماني انتهى كل شيء؛ لأن هناك الآلاف من سليماني»، فزاد ارتباط الناس بمحور المقاومة، لكن هناك الكثير لا يعرفون حجمه وشخصيته.

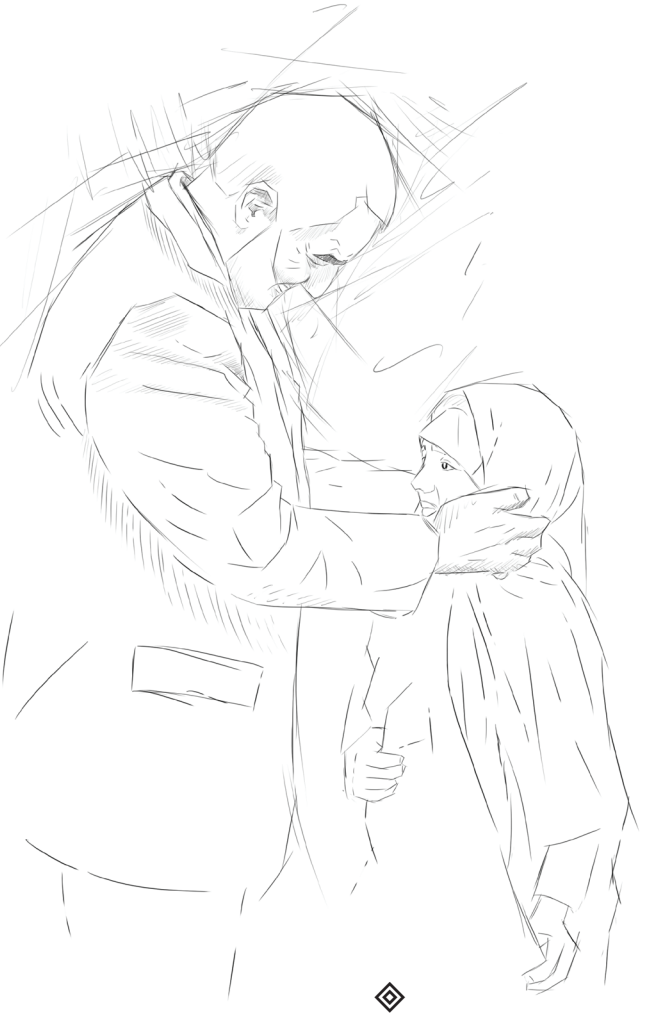

كان أكثر خبر صدمني وصعقني، بل قتلني هو خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني، فقد شعرت أنهم قتلونا، أنهونا تمامًا.. هذا باختصار ما شعرت به.

إن الشـهداء قـد نالوا الحياة الحقيقية، الحياة الباقية، ولا شـك فـي ذلـك، فجميـع أصدقائنا الذين استشـهدوا هـم أحياء عند ربهم يرزقون.

فـي فجـريـوم الجمعـة، وبالتحديـد بعـد صـلاة الفجـر، بعد انتهائنـا مـن قـراءة دعـاء الندبـة، وبيـن اليقظـة والنـوم وإذا بـي

أسمع صوت طرق لأبواب الزنزانات، يقول صاحبه: «الحاج قاسم سليماني استشهد!»، لم أعر أي اهتمام لذلك الصوت، حتى تكرر للمرة الثانية، فقلت لمن معي: «هل أنا في حلم أم حقيقة؟»، فأجابني متنهدًا: «بل حقيقة، لقد بث الخبر في القنوات الفضائية»، في تلك اللحظة كلّ لساني عن الكلام، لم أدر ما عساي أن أقول، هل أبكي؟ هل أصرخ؟، هل أقول هنيئًا له أم أقول أن أمثال الحاج قاسم لا يستحقون إلا الشهادة؟ وحاشى لله أن يظلم عبده، لم أتمكن من امتلاك نفسي فجهشت بالبكاء، أردت الانتقام، ولكن يارب كيف؟ وأنا مقيد، ماذا أفعل؟ شعور الانتقام لم يفارقني لهذه اللحظة، كنت أنتظر أمر السيد القائد حفظه الله، كنت أنام على أمل أن أستيقظ على خبر الانتقام في اليوم التالي.

وفي ولادة سيدة نساء العالمين استيقظنا على خبر هجوم صاروخي على القاعدة الأمريكية، تبع ذلك تصريح السيد القائد حفظه الله بأن الانتقام سيتحقق بخروج القوات الأمريكية من المنطقة، وبعد هذا التصريح بت على يقين بأنها أيام معدودة، وأن الوجود الأمريكي سينتهي في المنطقة بسرعة ببركة جهود السيد القائد وأنصار الثورة، وأسأل الله أن يشركني في هذا الجهاد معهم، وأن تكون لي بصمة في خروج المحتل.

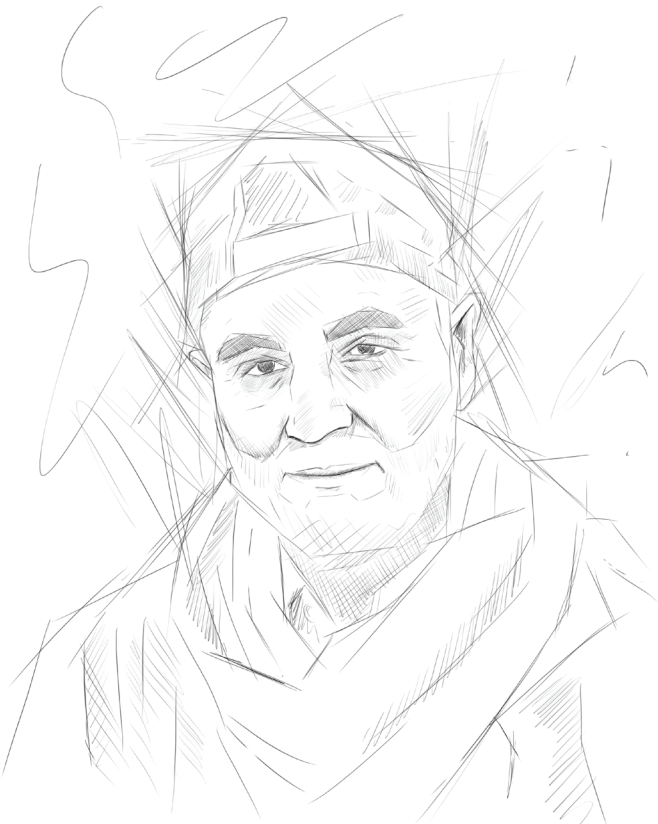

في البداية لم يكن الخبر مؤكدًا وموثوقًا، خصوصًا أنه بُث في قناة «العربية»، كنت أقول في نفسي: إن شاء الله يكون الخبر غير صحيح، كنت مضطربًا جدًا، لكن بعد ما أُكد الخبر على قناة «بي بي سي» ساد جو غريب في الزنزانة، فأعاد لي هذا الجو يوم رحيل الإمام الخميني ﷺ، ففي ذلك اليوم خرج الرجال والشباب في القرية يبكون ويلطمون على الرؤوس، وهذا ما حصل بالفعل في يوم استشهاد الحاج قاسم.

الغريب واللطيف في استشهاد الحاج قاسم أن حتى الكبار في السن من النساء دخلت في قلوبهم الحسرة على هذا القائد، وكأنهن يعرون هذه الشخصية منذ زمن بعيد، وكان لسان حالهن كما هو حال لسان من يعرفونه من المجاهدين، فيرددن: رحل لواء الإسلام، وما الذي سيجري علينا عندما يتعرض الإسلام للخطر؟

يحق لكل غيور وصاحب حمية على الإسلام أن يحزن لدى سماع هذا الخبر المفجع، لكن هذ الحزن تبدد بمجرد أن أطل سماحة السيد القائد حفظه الله على شاشة التلفاز، ودخلت السكينة على قلوب المؤمنين.

نعم، لقد كان كالبلسم يداوي القلوب المجروحة على الإسلام، صحيح أن الإمام الخميني قدس سره قد رحل، واليوم الحاج قاسم لكن الله سبحانه وتعالى أبقى لنا السيد القائد حفظه الله وقيادات عسكرية كثيرة في كل مكان في العالم.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، والسلام على الشهداء الذين بذلوا حياتهم في خدمة الإسلام.

أتذكر جيدًا ذلك اليوم، حيث كنت في زيارة لأحد الأخوة في فجر ذلك اليوم، وبدون إعلان مسبق وقبل الخروج إلى الحاجز، تمت قراءة خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني في العنبر، كان جميع الإخوة تتواردهم الشكوك بأن أمرًا ومكروهًا قد حصل، وكان كل شخص يتوقع رحيل أحدهم إلى الرفيق

الأعلى، لكن يا ترى من هذا الشخص؟

كانت الثواني تمروكأنها ساعات، والساعات تمروكأنها سنون.

وصلنا الخبر كالصاعقة بأن الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي المهندس ومن معهما التحقوا بركب الشهداء، لكن كيف؟ أين؟ ومتى؟

وغيرها من الأسئلة التي يوّلد بعضها البعض، لم أصدق الخبر، لا أعلم السبب، ولكنني أتذكر جيدًا بأني كنت صامتًا على غير عادتي، وكانت حالتي النفسية سيئة.

كم كنت أتمنى أن ينقضي ذلك اليوم سريعًا لأختلي بربي وأشكي له ما يثقل صدري، مرت تلك الساعات وكأنها سنوات، وقبل أن أختلي بربي سألني أحد الإخوة: ما بك هذا اليوم، لست على سجيتك؟

كل ذلك كان بسبب فقد هذا القائد العظيم الذي قضى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين ومحاربة الطغاة والمجرمين.

أسأل الله تعالى أن يجعل عمري في خدمة الإسلام والمسلمين، ومحاربة الطغاة والمجرمين، وأن يختم عمري بالشهادة في سبيل الله، وأن يجعل أشلائي تتقطع قربة لله تعالى.

في الليلة التي استشهد فيها لواء الإسلام الحاج قاسم سليماني رأيت في عالم الرؤيا السيد القائد روحي فداه جالسًا في مدرج، لكن على عكس العادة، فقد كان السيد روحي فداه في وسط المدرج، وكان الناس في الأسفل ينظرون إليه، وهو يخطب فيهم، ثم أتى رجلان إلى السيد واحتضنا بعضهما البعض أمام الجميع، فقال السيد: «هكذا يكون الأخوة» وارتفعت الصلوات على محمد وآله، وبعدها استيقظت من النوم.

أخبرت أحد الشباب بهذه الرؤيا، فقد كانت تلك الليلة بالنسبة لي عجيبة وغريبة وكانت معنوية وروحانية، عند وصول الخبر إلينا لم أصدقه، واستبعدت أن يكون هذا الخبر

صحيحًا؛ لأن شخصًا بعظمة الحاج قاسم في العالم الإسلامي يستبعد أن يصلوا إليه أو يستهدفونه بسهولة، فهو علي لمحمد هذا الزمن.

كان الخبر يبث من قنوات الكفر، لذلك لم أصدقه حينها، ولكن عشت في حالة اضطراب ووجل، وقد سألت الله أن يكون الخبر غير صحيح.

بعد تأكيد الخبر المفجع، ساد الصمت في العنبر، وكأن الذي استشهد هو الإمام الخميني ﷺ، كان قلبي مقبوض جدًا، وكأن يدًا من حديد تحكم قبضتها عليه، شعرت بأنني المقتول في هذه الضربة المشؤومة، أردت التخلص من هذا الألم الجاثم على صدري لكي لا يرى العدو ما حلّ بي من ضعف لدى سماع الخبر، ولكن ما من مفر.

كنت أترقب يومًا بعد يوم أي خبر يخص هذه القضية، وبالخصوص ردة فعل الجمهورية الإسلامية والسيد القائد حفظه الله وبقية القادة، ومن سيحل محل الحاج قاسم؟ كلها أسئلة تبادرت إلى ذهني وحاولت تتبع الأخبار لأصل على أجوبتها، وإذا بخبر بيان السيد القائد ولي أمر المسلمين روحي فداه يقول: «فليعلم الأصدقاء والأعداء أيضًا أن نهج المقاومة سيستمر بدوافع مضاعفة، إن النصر الحاسم سيكون

حليف المجاهدين، كذلك الانتقام الشديد سيكون بانتظار المجرمين»

بعد سماع هذه الكلمات التي كانت بلسمًا شافيًا للروح، فسكنت لها الروح واطمئنت لها النفس، أيقنت أن الانتقام من الأعداء سيكون قريبًا على يد قادة محور المقاومة، فكنت أعيش لحظات الانتظار على أمل الانتقام في كل يوم وساعة، إلى أن وصلنا خبر استهداف قاعدة عين الأسد التي زارها «الخنزير ترامب» سابقًا، توجيه مثل هذه الصفعة للعدو الأمريكي كان بمثابة رسالة إلى هذا الأحمق بأننا نستطيع القضاء عليك، ولكن في الوقت المناسب.

لقد ظن العدو أنه باغتيال الحاج قاسم سليماني قد كسر شوكة الإسلام، لكن الصفعة التي وجهتها الجمهورية الإسلامية أعادت هيبة الإسلام والمسلمين الذين كانوا يعيشون بعزة ورفعه في ظل وجود الحاج قاسم ومن بعده أيضًا.

في الختام، هذه كلمات قليلة في وصف الحالة التي يصعب وصفها!

نهضنا من النوم على خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني، وكان الخبر صادمًا للجميع، وكان الوضع في الزنزانة في حالة من الترقب، وذلك لأن الخبر في البداية لم يكن مؤكدًا، ولكن بعد فترة بسيطة أُكد الخبر، ولكن لم تردنا معلومات حول الشخصيات المستهدفة الموجودة في السيارة، كان الوضع كئيبًا جدًا وهادئًا، إلى أن تم التأكد بأن الحاج قاسم سليماني كان في السيارة، وأنه تم التعرف عليه من خلال الخاتم، أنا شخصيًا لم أكن أعرف الحاج قاسم، ولم تكن لدي خليفة عنه، ولكن حين تم بث صوره في التلفاز شعرت بالحزن والألم على فقدان هذه الشخصية المضحية، وقمت مع الإخوة بقراءة القرآن الكريم على روحه الطاهرة.

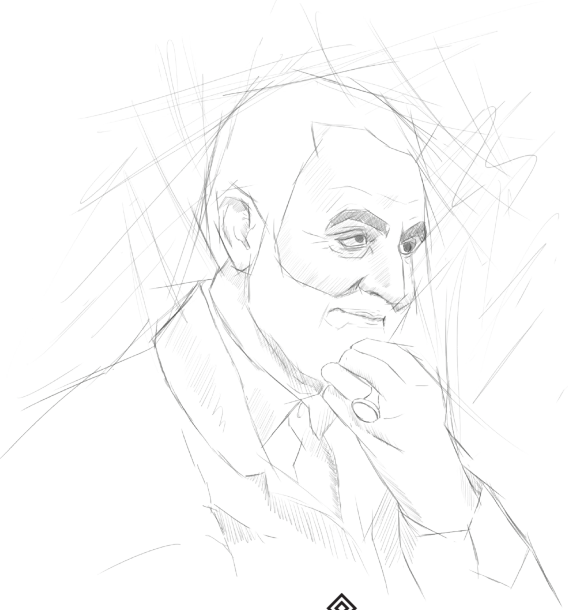

لم تكن لدي معرفة جيدة بالحاج قاسم سليماني، لكن بمجرد وصول خبر استشهاده أحسست بوجع كبير لم أشعر به من قبل على أحد، كان الصمت والحزن يخيم على الجميع، فقد كان الجميع في صدمة، خصوصًا أن الحاج قاسم كان يشكل قدوة لهم جميعًا، فختموا له القرآن على روحه الطاهرة، كان الصمت يسود المكان، وإن تحدثوا كان لسانهم يروي بطولات الحاج قاسم وشجاعته في نصرة الحق والمظلومين، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله.

هذا شيء بسيط في وصف ما حدث، فخبر استشهاده جعل في قلوبنا حرارة لم ولن نشهدها على أحد من القادة أبدًا، فهو من الشهداء الذين لهم أثرهم.

حدث مؤلم للأمة، ولكل المقاومة الإسلامية، يكفي أن السيد القائد قد بكى عليه، شخص عظيم كالسيد القائد يبكي على الحاج قاسم، فما بالك بنا نحن الأشخاص العاديون!

الأجواء كانت مقاربة ليوم العاشر من المحرم.

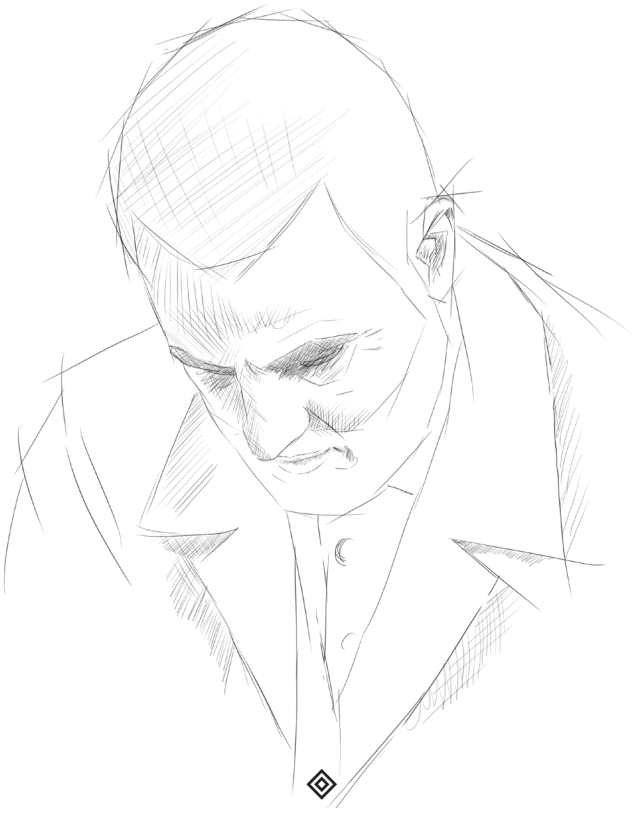

بسمه تعالى

عنـد انتشـار خبـر استشـهاد لواء الإسـلام فجـرًا، لم يؤخـذ على محمل الجد، سيما أن الخبر رأيته فور استيقاظي من النوم.

قضـى عمـره فـي سـوح الجهـاد كيـف لا تكـون نهايتـه الفوز العظيـم!، فالحـاج قاسـم سـليماني هـوركـن مـن أركان الدولـة الإسـلامية، بعدمـا تأكـد لنـا صحة الخبـر، وأول شـيء خطر في ذهني هذا الحديث: «من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب».

اسـتقبلنا الخبر بالغصص، فمعنى أن يكرس الإنسان حياته فـي سـبيل الله وحمايـة التشـيع، وأن يكون صمـام الأمان للحق

شيء عظيم، والأعظم هي الخاتمة، فالأعمال بالخواتيم، وأما من ناحية ثانية فهو مرتبط بكل كيانه بسماحة الإمام الخامنئي روحي فداه، ومن المصادفات الجميلة أنني استشعرت لدى سماعي الخبر حال أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادة مالك رضوان الله تعالى عليه، ثم بعدها بأيام قلائل تنتشر صورة للحاج قاسم والسيد القائد روحي فداه مكتوب عليها: «من لي بعدك يا مالك»، ردات الفعل كانت ممتزجة بالحيرة، وأمانةً كنت لا أدري أأفرح باستشهاد الحاج أم أبكي ؟

في هذا الوقت كانت لدي تساؤلات كثيرة، وكانت تأخذ الكثير من الوقت باحثًا عن أجوبة لها، كيف تم الوصول لمعلومات دقيقة حول مكان تواجده؟ لماذا لم يبقَ إلا كفّه؟ وعلام يدل بقاء الكف؟

حصلت لي بعض المواقف أذكر أحدها، أن بعض الشباب كان كثيرٌ منهم من يمزح بشكل يعبر عن فقدان الأمل والإحباط، وكنت أرفض تلك الممازحات وأتدخل لإيقافها، فبعد استشهاد الحاج قاسم وصدور التهديد من قبل الجمهورية الإسلامية، قال أحدهم: «إنه محض كلام فقط، لن نرى شيئًا» كان ذلك قبل صلاة الظهر، انتهينا من الصلاة والزيارة، وقفت في وسط الزنزانة، وقلت: «المزاح لتلطيف الجو أمر محمود، ولكن فيما

يخص الدين والعقيدة ذمه القرآن، إذا قلنا أن تهديد الجمهورية هو مجرد كلام معناه أن الإمام الخميني ﷺ فقط كلام، وهو في مقام قيادة الأمة والولاية، وولاية الأمر أحد وظائف الإمام المعصوم عليه السلام، فأصبح المعصوم فقط كلام وصولًا للنبي صلى الله عليه وآله والله تعالى فقط كلام، العدو ينظر ويتابع كل كلمة يتفوه بها سماحة ولي الأمر، لو كان فقط كلام لما وصل محور المقاومة إلى ما وصل إليه الآن، العدو ينظر لكيد المقاومة ونحن نقول فقط كلام».

عمّ الهدوء في الزنزانة لمدة لا تقل عن دقيقتين، نعم لا مشكلة في المزاح، ولكن عقائدنا خط أحمر، بعدها انقلب الوضع في الزنزانة، وأصبح هناك اهتمام بالغ لكل تصريح من قيادتنا ومسؤولينا.

في الأيام التي تلت الاستشهاد والتشييع العظيم الذي ناله لواء الإسلام حصلت لي فيها موقف سأذكره:

عند وصول جثمان الحاج وصلاة الإمام الخامنئي روحي فداه عليه، بمجرد أن بكى الإمام -لا أبكى الله عيناه- بكيت لا بل أجهشت بالبكاء، وعندما هدأت نفسي كنت أتساءل لماذا بكيت لبكاء الإمام روحي فداه؟ هل لحضور الزهراء عليها السلام؟ أسئلة كثيرة لم أحصل على إجابة عليها.

نحن في بداية السنة وشهادة الحاج قاسم رسالة للعالم محتواها: «إنها من سليمان و إنها بسم الله الرحمن الرحيم».. وهذا ما نشاهده ونعاينه بأم أعيننا فيما يحصل للعالم اليوم.

لحظة سماعي خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني صدمت جدًا، وانتابني شعور غريب، وخيّم عليّ حزن شديد، استيقظت لصلاة الليل والجميع نيام، مرّ الخبر المؤلم سريعًا في شريط أخبار قناة العربية نقلًا عن التلفزيون العراقي، لم أصدق ما قرأته

عيناي في لحظات سريعة، وبارتباك شديد، حاولت تغير القناة إلى قناة بي بي سي، ولم أر الخبر، لكنهم بعد ساعة أعلنوه مؤكدين، انهمرت دموعي، وشعرت بحرقة شديدة في صدري يصعب إطفاؤها، فالشهيد قاسم سليماني كان بالنسبة لي قائدًا وقدوة، بل كان كذلك للجميع، أيقظت أحدهم للصلاة، وقلت له: شاهد الخبر، فقال لي بانكسار: يبدو أن الخبر صحيح.

فقلت له: نعم، لقد رحل الأسد قاسم سليماني، الذي كان له مكانة تختلف عن باقي الشهداء، كان الحاج ينتقل بين إيران والعراق وسوريا ولبنان واليمن، كان يبذل جهدًا كبيرًا جدًا، ما فعله الشهيد لم يفعله أحد من قبل، فهو ينزل إلى الجبهات، وهو كل شيء، كان اليد اليمنى للسيد القائد حفظه الله، كانت له هيبة وشخصية قوية، حتى أن داعش إذا علموا أنه في منطقتهم فروا إلى منطقة أخرى.

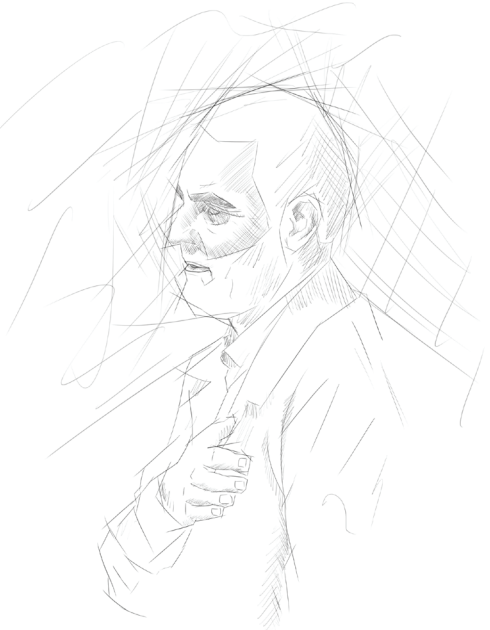

في يوم الجمعة، بعد انتهائنا من صلاة الصبح وتعقيبات الصلاة، غلبني النعاس فنمت، فأيقظني أحد الإخوة قبل وجبة، الإفطار وقال لي: هناك أخبار تفيد بأن الحاج قاسم سليماني قد استشهد ولكن لا نعلم مدى صحتها، صعقت لدى سماعي ذلك وقمت من مكاني من هول الصدمة لا أعلم أين أذهب أو ماذا أفعل، وبعد خمس دقائق تقريبًا أكد الإخوة الخبر، ومن غير مبالغة أقول أنه أتاني قبل خبر استشهاد الحاج قاسم خبر وفاة أحد الأقرباء، وكان الخبر محزنًا، لكنه لا يقارن بموجة الحزن التي انتابتني لدى سماعي خبر استشهاد الحاج قاسم، أذكر أنني كنت جالسًا على السرير وكانت دموعي تنهمر من دون توقف، لم أستطع أن أخفي دموعي على الإخوة، وكأن الذي استشهد هو والدي!

◈

ما الذي يمكنني قوله؟

كان يوم استشهاد الحاج قاسم كئيبًا جدًا، لم يكن الخبر صادمًا لي فحسب، بل صادمًا للجميع، وصلنا الخبر من أحد الإخوة في مبنى ١٢، ألقى التحية، وقال: استشهد الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي على يد الأمريكان. الخبر كمم الأفواه وابتلع الأصوات، فغدى الصمت وحده يجول في المكان، استلقيت ولم أستطع النوم، أحسست أن الشيعة ضعاف وأننا هزمنا أمام الأعداء، ولم يبق لدي أمل حتى في الجمهورية، ملأت ذهني أفكار مقيتة، بعدها هدأت روحي، فهذا المجاهد الذي بذل شبابه وعمره في خدمة الإسلام، واستشهد في سبيل إعلاء كلمته، من غيره يستحق الشهادة؟

لقد كان إنسانًا مخلصًا وهب روحه ونفسه لنصرة المستضعفين، ولذلك كنا نترقب ضربة الجمهورية.

حتى أن والدتي عند اتصالي بها قالت لي: قُتل سليماني وبدت متأثرة جدًا، كانت تترقب الانتقام.

◈

فور وصول نبأ استشهاد الحاج قاسم سليماني، لم أصدق هذا النبأ، وكذلك الأخوة الذين معي في الزنزانة، قلنا بأنهم لا

يتجرؤون أن يقتلوه بشكل علني، لكن بعد أن تم تأكيد الخبر خيّم الحزن على الجميع، وأصبحت أجواء «العنبر» كأجواء يوم العاشر من المحرم، كنت أنتظر ردة فعل الجمهورية وكيف سيكون؟ هذا ما كان ما يهمني، بعد أربعة أو خمسة أيام أصبح الإخوة يتكلمون عن الظهور المبارك، وحديث العلماء عن هذا الشأن، وكأنما أصبح الإخوة مستعدون للظهور وعلى درجة كبيرة من الوعي.

الحاج قاسم سليماني أحدث تغييرًا كبيرًا في المنطقة، ولم أعرف حقيقة شخصيته العظيمة إلا عندما رأيت السيد القائد حفظه الله يبكي وهو يصلي عليه، عرفت ذلك لأنني لم أر السيد القائد يبكي من قبل إلا على السيد الإمام، فعرفت مكانته ببكاء السيد.

كنت في العزل في مبنى ١٢ أخبرنا مدير العنبر باستشهاد الحاج قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس ورفاقهم، قلت لدى سماعي الخبر: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد فقدنا القائد العظيم الذي له بصمة في كل مكان، فقدنا شخصًا عظيمًا كانت له مكانة في قلوب الأحرار، لم أكن أعرف هذا القائد العظيم، ولكن بعد استشهاده عرفته وتعلقت به أشد التعلق، مما جعلني أبحث عن الشهادة.

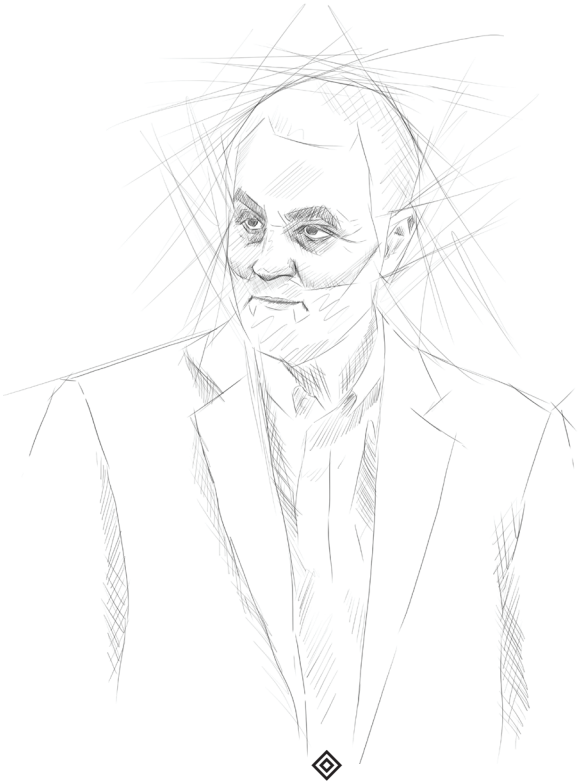

شكل الخبر صدمة قوية جدًا، إن أول شخص صدمت وتأثرت لشهادته هو الشهيد النمر رحمة الله عليه، ثم الشهيد رضا، وبعده الشهيد الحاج قاسم سليماني، شعور فقدهم جميعًا كان موجعًا ومحزنًا وشكّل خسارة كبيرة، لكن في الوقت نفسه كان لفقدهم الأثر الكبير في إعطاء الحماس والعزم على مواصلة الطريق، وبالرغم من أني لا أعرف الحاج لا من بعيد ولا من قريب، كنت أحسب نفسي دائمًا جنديًا تحت لوائه، وعند استشهاده شعرت بأنه حتى ونحن في البحرين تقع علينا مسؤولية تجاه هذا الحدث.

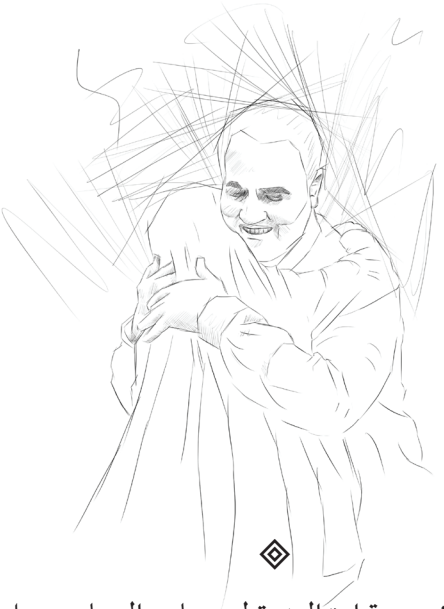

بعـد صلاة الفجـر وقراءة الندبة لصحاب الزمـان عجل الله فرجه الشـريف، جـاء النداء مـن غرفـة ٥ هاتفًا: «لقد استشـهد الحاج قاسم سليماني»، نزل الخبر كخنجر انغرس في صدري، وبدت عليّ علامات الاضطراب والأسى من كل صوب: متى؟ أين ؟ كيف استشهد؟

لا، لا يمكـن، الخبـر غيـر صحيـح، تأكـدوا شـباب، بعدهـا علمت بأن الشيطان الأكبر هو من قام باغتيال الحاج، فأخذت الدموع تنهمر مغالبة بغزارة.

يجب الرد على الشيطان برد يزلزل كيانه، لكن لا يوجد شيء في شخص ومكان الشهيد لنأخذ بثأره، وكنت متشوقًا للأخبار، وتمنيـت أن يكـون لدي تلفاز في الزنزانـة لأتابع مجريات الأمور، وكيف سيكون الرد ومن أين؟

ليتني كنت في الخارج لأشارك في الأخذ بثأره.

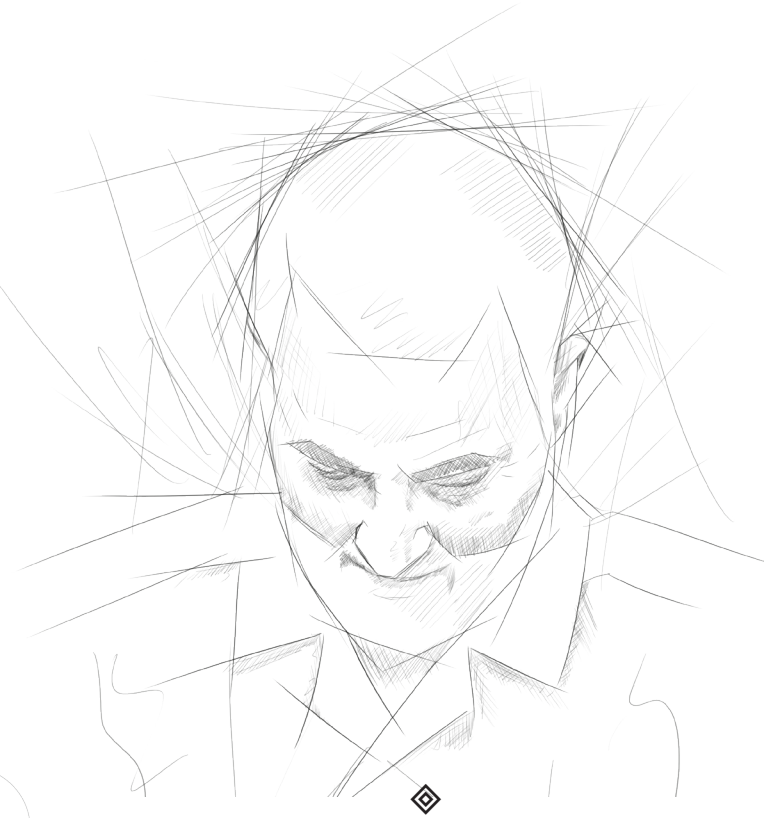

لـم أصـدق الخبر، لأنـه أذيع على قنـاة العربية، لم أكن مسـتوعبًا لمصداقيـة الخبـر بالأحرى، لكن بعـد تكرار الخبر لأكثـر من مرة، خاصة عندما أذيع على قناة «بي بي سـي» عند السـاعة الواحدة تقريبًا، قلت في نفسي: يبدو أن الخبر صحيح، وانتابتني الحيرة تجـاه الشـيء الـذي ينبغـي عليّ فعلـه، واعتصـر قلبي ألمًـا لقلة حيلتي في هذه الزنزانة، كل ما كنا نستطيع فعله أنا والإخوة هو عدم ممارسـة النشـاطات اليومية لمدة ثلاثة أيام تشـبعت تلـك الأيام بمظاهر الحزن مع إقامة فعاليات الحداد على أرواح الشهداء.

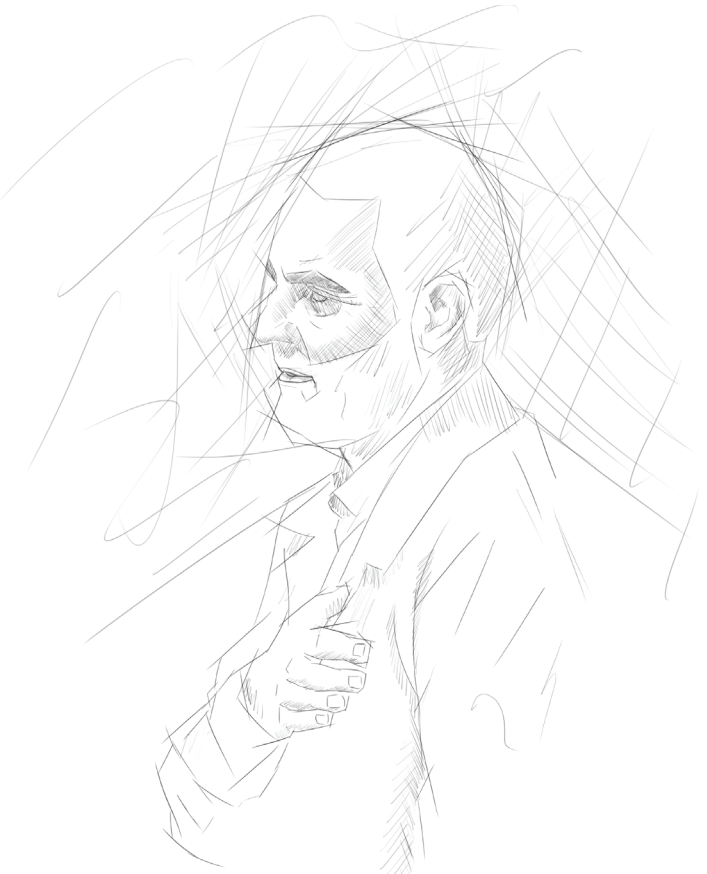

عنـد سـماع الخبـر انقطـع تفكيـري مباشـرة، وتجمـد عقلي في محاولـة لاسـتيعاب الخبـر، كانـت صدمتـي كبيـرة كصدمـة الجندي في الحرب عند سماعه خبر مقتل القائد.

في فجر الجمعـة، وبالتحديد قبل قـراءة دعـاء الندبة، جاء إلى الزنزانة أحد أصدقائي المقربين، تقدمت نحوه بابتسامة عريضة، ولكـن قابلنـي بوجه جـاف، وأعطانـي قصاصة من الـورق كتب

فيها: «استشهد الحاج قاسم سليماني على يد الأمريكان»، أرجعت إليه القصاصة وشعرت بالغُصة، وما إن بدأ الإخوة في قراء دعاء الندبة أجهشت بالبكاء، ولا أذكر أني قرأت الندبة بهذا التوجه والحرقة من قبل، لم أكن أعرف الحاج بقدر ما يعرفه الإخوة، لكن خبر استشهاده قلب كياني فصارت صورته محفورة في ذهني، وبقيت في حزن عميق أثّر على طبيعتي وصحتي، فبعد اغتيال الحاج بدأت أفهم حقيقة ذلك الشعار الذي لطالما رددناه في كل محفل: أمريكا الشيطان الأكبر.

يبقى الحاج قاسم مجرد ذكرى عند بعضهم، لكنه بالنسبة لي ليس كذلك، ففي تلك اللحظات التي أختلي فيها للعبادة والتوجه لله سبحانه وتعالى في جوف الليل، أشعر بوجوده المبارك معي، حتى أنني أشعر في كل مرة أناجي الله فيها أن روحه الطاهرة تحوم حولي، ولم يفارقني هذا الإحساس حى الآن على الرغم من مرور عام على استشهاده، إذ لا يزال الحاج شريكًا لي في قيام الليل وفي جمعاتي، وأنا أسأل الله دومًا أن يرزقني ما رزقه وأن يهبني ما وهبه ويعطيني ما أعطاه.

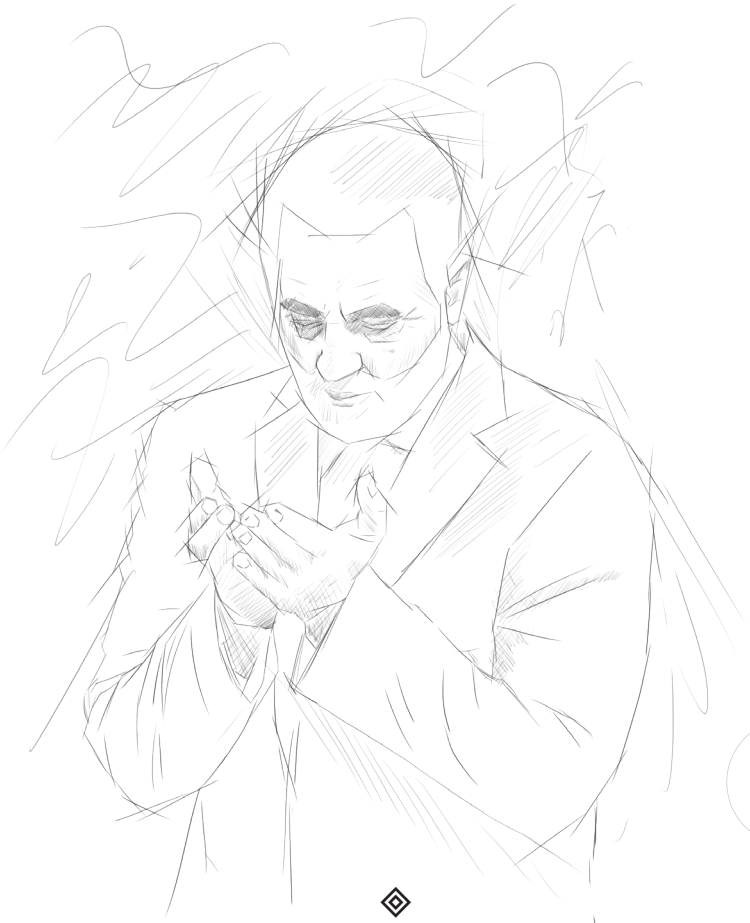

إن كان سؤالك عن الوضع عند استشهاد اللواء الحاج قاسم سليماني، فقد كان الصمت يكبلني، وكانت الدموع وسيلتي، رحم الله الشهداء الأبرار.

عنـد سـماع خبراستشـهاد الحـاج قاسـم سـليماني، كنت في صدمـة مـن هـذا الخبـر المفجع جـدًا، ولـم أسـتطع تصديق ما أذيـع علـى قنـاة العربيـة بهـذا الشـان، وقلت فـي نفسـي أنهم لا يسـتطيعون قتـل الحـاج بهـذه السـهولة، لأنـه يمتلـك أمنيـات كثيـرة جدًا، وعندما علمت بصحة الخبر، قلت في نفسـي هذه خسارة كبيرة جدًا للإسلام العزيز.

كان الشعور على مستويين اثنين:

المستوى الأول: كنت حزينًا جدًا كباقي الإخوة لفقد هذا الإنسان العظيم الذي فقد الإسلام، وفقده جميع المقاومين والأمة الإسلامية.

المستوى الثاني: أما على المستوى الشخصي فقد شعرت أني فقدت أحد المقربين لي.

لم يكن لدي أية معلومات كافية عن الحاج، لكن عندما جاء الخبر صعقت، وفي نفس الوقت أحسست بالعزة والكرامة؛ لأن مثل هذه الشخصيات لا تستشهد إلا كالحسين على السلام.

في فجر الجمعة، وأي جمعة فجيعة تلك التي مرت علينا وعلى الأمة الإسلامية، يقول الإمام الخميني ﷺ: «إذا رأيتم أمريكا راضية عنكم، فاعلموا أنكم على خطأ»، وهو عكس ذلك تمامًا، فحين استقبلنا خبر استشهاد الحاج أصابتنا حالة صدمة قوية، لكن لم يتم اغتيال الحاج إلا لأنه كان شوكة في أعين قوى الاستكبار، حينها تبادر إلى ذهني بعض التساؤلات، أنصدق الخبر أم نكذبه؟ هل فعلًا تم استهدافه؟ من الذي سيحمي المقاومين في سوريا ولبنان والعراق واليمن والبحرين وغيرهم الآن؟ كيف ستكون الأوضاع من دونه؟

تأكد خبر الاستشهاد، فوضعنا أكفنا على رؤوسنا وصدورنا ألمًا وحرقة، وفاضت أعيننا تقطر الدمع حسرة حسرة، ولا ندري أنقول هنيئًا له الشهادة أم ليته لم يصب بمكروه ولم يستشهد.

أيقظني أحد الإخوة لقيام الليل، وكالعادة قمت للصلاة وإذا بأحدهم يشير إلى التلفاز، وإذا به خبر مفاده: «أنباء عن مصرع قائد فيلق القدس قاسم سليماني»، لم يكن الخبر مؤكدًا، قمنا للصلاة وقلوبنا قلقة مضطربة، وبعد الفراغ من صلاة الفجر وبعد تأكيد الخبر، ساد الصمت في المكان، ثم بعده بلحظات بدأتُ بقراءة دعاء الندبة، والنفوس موجوعة والقلوب منكسرة، لم تكن الندبة عادية، ففور شروعي بالقراءة ضجت الزنزانة بأصوات البكاء والنحيب ونداء صاحب الأمر، وقد كان أحدهم ينادي: يا مهدي بحرقة وبصوت عالٍ مملؤ بالانكسار.

لا شك أن حكمة الله وتقديره قد اقتضت أن يعرج الحاج في ذلك الوقت من الزمان المقدس.

لحظة سماعي خبر استشهاد الحاج قاسم سليماني شعرت بالضعف، فقلت في نفسي: لقد تم القضاء على الثورة الإسلامية، ولكن سرعان ما تغير شعوري إلى شعور بالعزة والشموخ والإباء، فالحاج قاسم قد خرّج آلاف من قبل أن يستشهد.

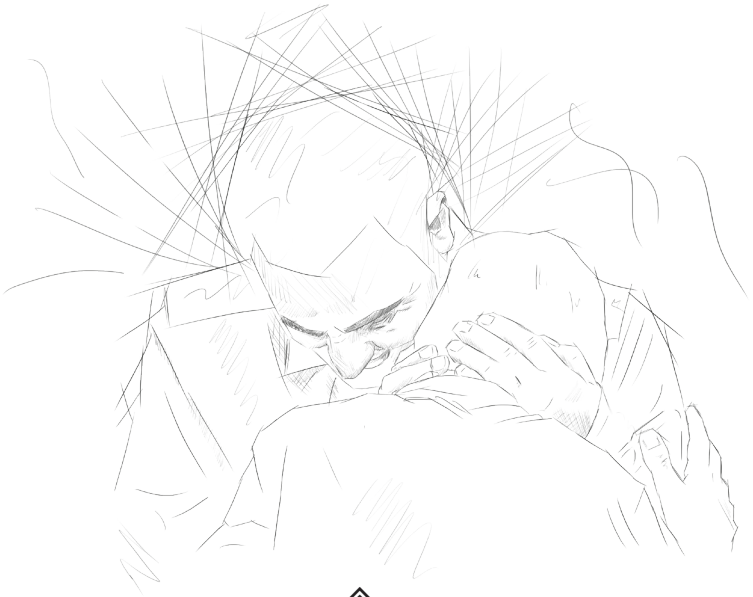

في ذلك اليوم الحزين، مع الصباح الباكر، استيقظنا على ذلك الخبر الذي لم يتوقعه أحد، استشهد الحاج قاسم سليماني، لا، بالتأكيد الخبر غير صحيح، تأكدوا يا شباب.

قاموا بجلب وجبة الإفطار، النفوس نافرة ولا شهية لها للأكل، ذلك البطل الذي لطالما رفع رؤوسنا، والذي جعل بصمته في جميع البلدان، كان يصول ويجول، وكلما وطأت قدمه مكانًا ما هرعت الأعداء من هيبته، ولا يرفع قدمه إلا والنصر حليفه، فكيف يغتاله العدو؟

لا يجرؤون ومن المؤكد أن الخبر محض إشاعة، لكن بعد تأكيد الخبر ظلت قلوبنا تنبض بالألم، وعمّ الحزن الزنزانة، لا يا سليماني لا ترحل، فالإسلام بأمسّ الحاجة إليك، مازال الظلم ينهش جسد الأبرياء، والثائرون ينتظرون قائدًا يحمل رايتهم.

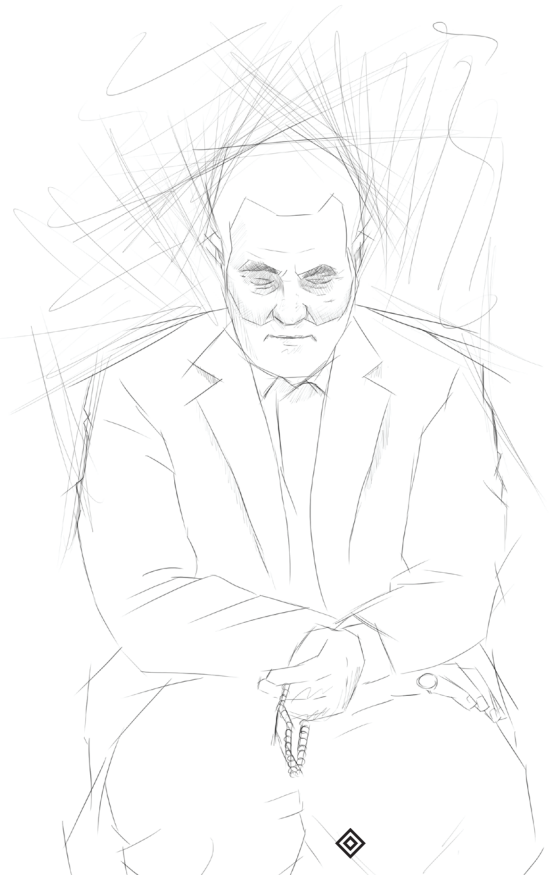

في الثالث من يناير عام ٢٠٢٠ صباحًا، عند استيقاظي أحسست أن يومًا كئيبًا بانتظاري، فتحت أبواب الزنازين وما إن خرجنا حتى تناهى إلى أسماعنا خبر استشهاد قادة عسكريين في العراق، تجمّعنا في زنزانة ٩ لوجود تلفاز فيها، وعندما وقعت عيناي على خبر استشهاد لواء الإسلام الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي المهندس، لم أصدق ما رأت عيناي وأحسست بضيق في صدري، ابتعدت عن شاشة التلفاز، لم أقل إلا جملة واحدة هي: إنا لله وإنا إليه راجعون، لا أستطيع وصف شعوري في تلك اللحظات.

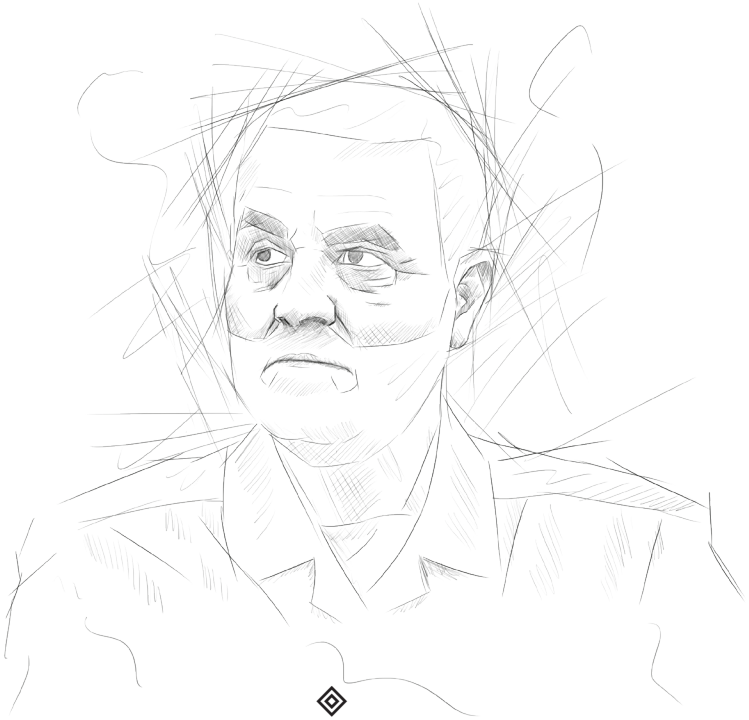

يأتي يوم الجمعة كعادته، في الساعة السابعة صباحًا، بعد دقائق قليلة فُتح باب الزنزانة، وهممنا بالنزول عبر السلم، استوقفني نداء أحد الإخوة: تعالوا إلى هنا، هناك أنباء عن استشهاد الحاج قاسم سليماني، فقلت في نفسي: فاليحفظ الله هذا الرجل، ثم ذهبت لأشاهد التلفاز وكلي ثقة بأن الخبر مجرد إشاعة لا قيمة لها، ولكن صدمت عيني عند قراءة ما كتب على الشاشة «استشهاد قائد فيلق القدس»، وقلت: إذا كان الحاج قاسم فلماذا لا أرى صورته؟

بضع دقائق مرت وأنا استوعب الصدمة التي ظل لها قلبي يخفق بقوة، في تلك الجمعة ندبت الإمام عجل الله فرجه بالعويل والبكاء

لا زلت أذكر فجر ذلك اليوم، الذي لم ولن يمحى من ذاكرتي، فرغنا من صلاة الفجر والتعقيبات، فهممت بقراءة دعاء الندبة للشباب كما جرت العادة في كل جمعة، عادة يعم الهدوء والسكون على الإخوة ليتهيؤا للدخول في أجواء الدعاء، إلا أن هذه الجمعة كانت تختلف تمامًا حيث لفت انتباهي أن بعض الإخوة يتهامسون خلفي، وكان أحدهم يشير بسبابته إلى التلفاز، فتعجبت أن يطلب مني التوقف عن القراءة وفي هذا الوقت بالذات، لابد أن الأمر مهم، نظرت إلى شاشة التلفاز وإذا بي أرى بالخط الأحمر العريض الخبر العاجل، قرأته وأنا مصدوم جدًا، وقلبي أخذ يخفق بشدة كقرع الطبول استعدادًا للحرب، قلت في نفسي إن الخبر عار عن الصحة بالتأكيد، ولكن قلبي وروحي في تلك اللحظة يؤكدان أن هناك شيئًا ما نراه ونشعر به بالبصيرة لا بالبصر، خيّم السكون على الأرواح والقلوب، وضعت رداءًا على رأسي مستسلمًا لعوالمي الداخلية ومشاعري الحبيسة.

فقد عرج الحاج في ليلة الشهداء في ليلة الجمعة، أي عاشق ذاك؟ وأي زفاف ؟ وأي استقبال سيحظى به في عالم الخلد؟

السلام على فخر الشيعة مالك أشتر هذا الزمان «سليماني العظيم» يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

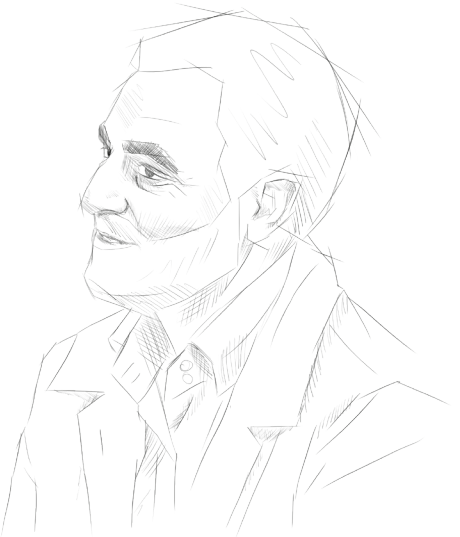

في يوم الخميس الموافق ٢ من يناير للعام ٢٠٢٠ المصادف ٦ جمادى الأولى للعام ١٤٢١ه، كنت في مبنى ١٣ عنبر ٢ غرفة ٤، كنت في حديث مع الإخوة قبل منتصف الليل، وكان من بينهم العزيز على قلبي أبو كريم فخراوي، كنت يقظًا حتى مطلع الفجر، كنت وبشكل مستمر أوقظ أبا كريم.

وقبل أذان الفجر بساعة بعد منتصف الليل من تلك الليلة المشؤومة كنت أشغل نفسي بين مطالعة الكتب والكتابة، ثم ثبتُ جهاز التلفاز على قناة «العربية» لعل هناك أخبار عاجلة تظهر، فتفاجأت بخبر أزاحني عن الاستمرار بالمطالعة والكتابة مفاده «هجوم أمريكي على سيارتين بالقرب من مطار بغداد»، كل دقيقة وكل لحظة كان هناك خبر جديد ومعلومات جديدة حتى نزلت عليّ الصدمة الثانية بأن الضربة

استهدفت الحاج قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس، لم أصدق ذلك ووضعت يدي على عيني، لعل ما أشاهده يكون كذبًا، غيرت القناة إلى قناة «بي بي سي» العربية والإنجليزية حتى تيقنت أن الخبر صحيح، بعدها مباشرة أيقظت أبا كريم ليشاهد الخبر، فكان الأمر كما لو أن زلزالًا قد هز الأرض بأكملها، بقيت أراقب الوضع والأخبار لحظة بلحظة، وفي كل يوم حتى دار حديث بيني وبين الشيخ علي المسترشد عند غرفة الاستقبال حيث سألني سؤالًا واحدًا قائلًا: سيدنا، إنني أشعر بارتياح تجاه تحليلاتك، فكيف سيكون الرد برأيك؟ وهل ستتأخر طهران في الرد؟

أجبته بكل وضوح: أولًا بما أن السيد القائد هذه المرة هو الذي صرّح بالرد، فإن الرد سيكون مباشرًا، ولن يتأخر في الرد، وسترى قريبًا.

قال: أليس في ذلك مجازفة، وهذا ما تريده أمريكا؟ وقال: إن الرد سيكون بالأذرع الموالية.

أجبته: ما قلته ستراه، وليس في ذلك مجازفة.

بعد استهداف قاعدة عين الأسد جاء لي الشيخ علي المسترشد، وقال لي: ما قلته حدث عزيزي.

◈

عليكم السلام ورحمة الله..

آه آه من تلك الأيام على قلوب جميع الموالين.

كنّا نتمنى القتال تحت لوائهم وفي خدمتهم، كنا معزولين في غرفتين لإصابة أحد الإخوة بمرض السل، وفي وقت السحر، عندما قام العاشقون للقاء معشوقهم في تلك الليلة، وهي ليلة الجمعة، كانت الأجواء تملؤها القداسة والروحانية، وإذا بأحد الإخوة يزف لنا خبر الاستشهاد، ولكن دون تأكيد من القنوات الإخبارية، لكن بعد تم التأكد من الخبر، كانت الصدمة كبيرة، لدرجة أن القلب أبى أن يصدقها، ولكن لا سبيل أمامنا سوى ندبة صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، لقد علت أصواتنا بالبكاء والنحيب وكأن الحاج قاسم استشهد أمامنا، كان ذلك اليوم استثنائيًا جدًا.

أمضينا تلك الأيام بين البكاء والدعاء، وبين قولنا إنهم لا يمضون إلا شهداء، وبين شعورنا بالتعب لخسارتنا لهولاء القادة العظام، وكنا نتابع الأحداث جيدًا، إلى أن أتى ما هو أشد من خبر الاستشهاد ألا وهو بكاء السيد القائد حفظه الله، ياليتني متُ قبل هذا ولم أره في ذلك الحال.

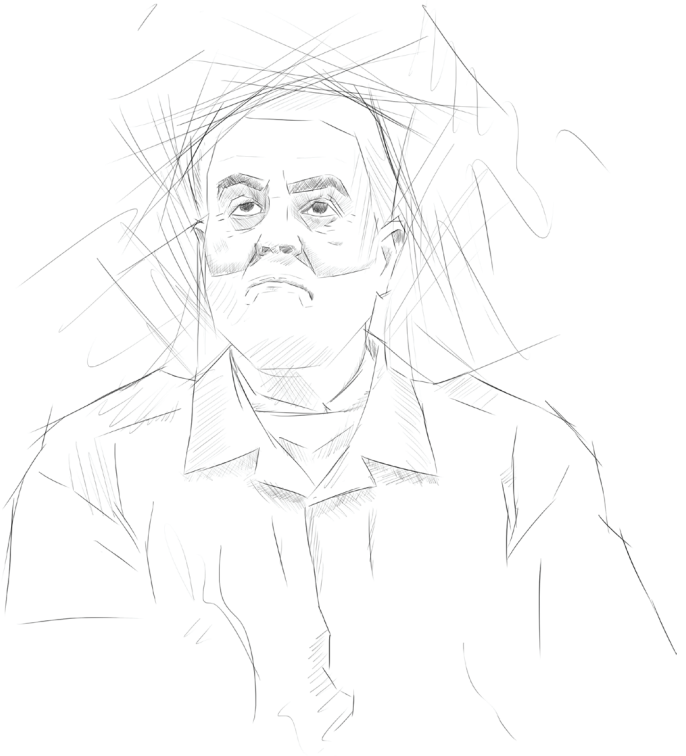

فور وصول خبر الاستشهاد، ساد الصمت وعمّ الهدوء بقدر ما عمتنا الصدمة، لم نصدق الخبر وظننا بأنه لا يعدو عن كونه فبركة إعلامية، فالأعداء دائمًا ما يحاولون هزيمة المقاومة نفسيًا بخلق الانتصارات الوهمية، كان لابد لنا من الانتظار حتى اليوم التالي لنتأكد من خلال الاتصال بالأهالي، بقينا ننتظر على وجل وعلى أحر من الجمر، وبين من يدعولهم بالحفظ وبين من هو مصدق للخبر، إلى أن تم تأكيد الخبر.

حاول الأخوة إخفاء مشاعرهم إلا أن الوضع انفجر دون إرادة منهم.

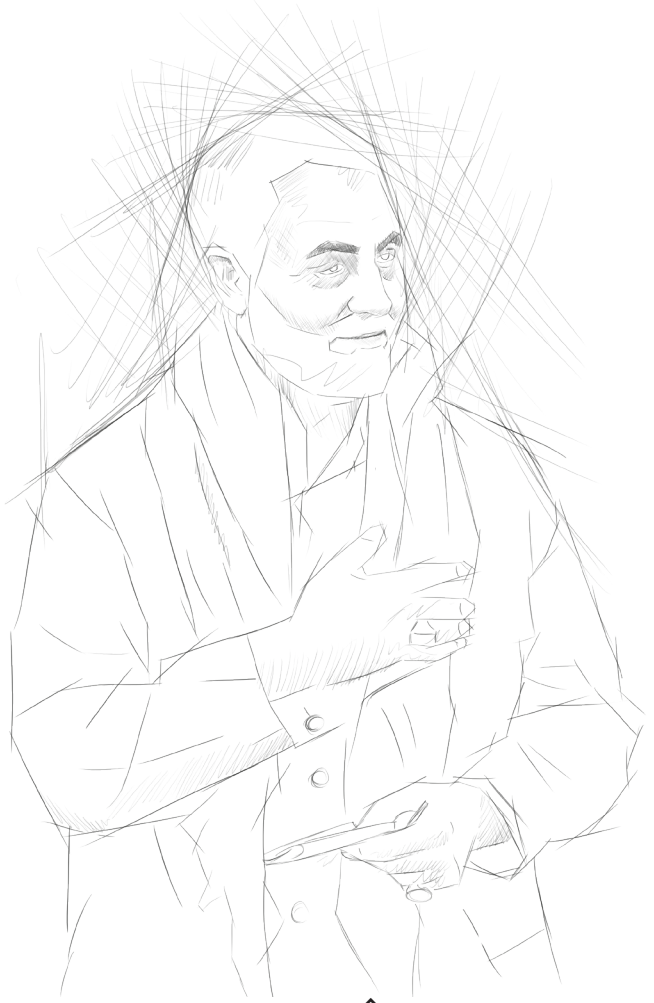

كنا في غرفة لا يوجد بها تلفاز، ومع خروج الإخوة لاستلام وجبة الإفطار وصلت رسالة إلى أحد الإخوة في الزنزانة مفادها: «غارة أمريكية تغتال لواء الإسلام الحاج قاسم سليماني وأبومهدي المهندس»، شكل الخبر صدمة للجميع، انقسمنا بين مصدق ومكذب للخبر حتى تم تأكيده.

كان جناحًا نحتمي تحته..

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١- هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
٢- المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
٣- فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي
٤- الخارجون من الماء، رواية المحرر من السجون الخليفية محمد طوق، كمال السيّد

سلسلة نهج الولاية:

١- العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي
٢- الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي
٣- التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤- العبد الصالح، رواية الإمام الخامنئي عن الإمام الخميني
٥- سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد القائد قاسم سليماني
٦- عهد الأمير إلى المسؤول والمدير، الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١- التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور
٢- تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٣- الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤- الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٥- يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي

٦- رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٧- على ضفاف الحسين، الأستاذ محمد سرحان
٨- نشيد الشهادة، شرح وصية الشهيد القائد قاسم سليماني، الأستاذ محمد سرحان
٩- ماضون على دربك، قصص أسرى البحرين بعد استقبال خبر شهادة الحاج قاسم سليماني (هذا الكتاب)

سلسلة تاريخ البحرين:

١- شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٢- آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٣- الإبادة الثقافية في البحرين
٤- تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١- رسول الرحمة
٢- الإسلام والعلمانية
٣- الجمري في كلمات أمينه وخليله
٤- القدس صرخة حق
٥- إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
٦- قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٧- الدولة والحكومة
٨- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
٩- الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٠- في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١١- الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١- قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢- عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣- كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤- عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥- حصاد البحرين ٢٠١٧
٦- عاشوراء البحرين ٢٠١٧
٧- في رحاب مدرسة الإمام الخميني قدس سره
٨- المهدوية في الفكر الولائي
٩- الحصاد السياسي ٢٠١٦
١٠- ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

كتب باللغة الفارسية:

١- تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢- بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٣- برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤- رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥- گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦-تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

من الصادفات الجميلة أنني استشعرت لدى سماعي الخبر مال أمير المؤمنين (ع) عند شهادة مالك رضوان الله تعالى عليه، ثم بعدها بأيام قلائل تنشر صورة للحاج قاسم والسيد القائد رومي فحاه مكتوب عليها: «من لي بعدك يا مالك»

الموقع الرسمي